

أوروبا على النمحر

١ - من فرساي إلى لوكارنو

مسألة الرين وسلام أوروبا

بقلم باحث دبلوماسي كبير

وقع في السابع من مارس الجاري حدث عظيم في السياسة الدولية لا زالت أسداؤه تدوي في أرجاء أوروبا ، ولا زالت آثاره ونتائجه موضع البحث الخطير في دوائر السياسة العليا ذلك هو إقدام الحكومة الألمانية على إلغاء ميثاق لوكارنو الخاطم بتأمين السلام على ضفاف الرين ، واقدامها في نفس الوقت م إلغاء آخر التمهيدات والقيود العسكرية التي فرضتها عليها معاهدة الصلح ، ووضع فرنسا وأوروبا أمام الأمر الواقع باحتلال منطقة الرين الشرقية التي قضت معاهدة الصلح بتجربتها من السلاح ومن كل وسائل الدفاع العسكرية

ولم يكن عمل ألمانيا مفاجأة مطلقة ، فقد كان معروفًا منذ أسابيع أنها تفكر في انتاج مثل هذه الخطوة ، وأنها تترقب الفرصة لتنفيذها ؛ ومنذ أسابيع تتحدث الصحافة الألمانية عن منطقة الرين ووجوب تسليحها استكمالاً لحقوق السيادة الألمانية وصوناً لشرف ألمانيا وكرامتها ، ومنذ أسابيع تتحدث الصحافة الفرنسية عن نيات ألمانيا ، وما يجب على فرنسا أن تتخذها إذ أقدمت ألمانيا على تنفيذها

وقد نفذت ألمانيا خطتها ، واحتلت منطقة الرين الحرام فصائل من الريخسفر (الجيش الألماني) في نفس الوقت الذي أتى فيه المهر هتلر من منبر الريخستاج الذي عقد خصيصاً لهذا الغرض خطابه القوي الجامع عن موقف ألمانيا تجاه السياسة الأوروبية ، وتجاه فرنسا ، وأعلن فيه لإنكار ألمانيا لنصوص ميثاق لوكارنو ، واعادة حقوق السيادة الألمانية كاملة على منطقة الرين

ويجب لكي نفهم حقيقة هذا الحدث السياسي والعسكري

فلما كان الليل لم أجد أمري على ما أحب ، وجلست متفكراً معتلاً ونقل رأسي من ضربة النافذة وتسلط على ظن الرض والمجز عن الكتابة ، وانتفض الأمر كله فرأيتني أشق على نفسي بلا طائل ، فكان من صواب التدبير عندي أن استجمم بالنوم ثم أهدأ في السحر للكتابة . فأوصيت من بوظني وحررت الساعة المنبهة على تمام الثانية بعد منتصف الليل

وأحسست أني جائع وأن معدتي مشحوة ونسيت كل ما أعرف من الطب ؛ وجاءوني بشواء وحلوى وما بينهما ، فخططت فيه ولففت الآخر بالأول ، ثم قت أريد النوم فإذا الطعام كان أشد على من نافذة القطار ، وكان الذي في الفكر من المقالة أثقل من الذي في المعدة من الطعام ، وساء الهضم في الدماغ والبطن جميعاً

وجملت أتناوم وأرخی أعضائي وأتوم الكرى وأستدنيه بكل ما أعرف من وسيلة ثم لا أزداد على ذلك إلا أرقاً ، وتعمد الفكر وأحسست رأسي يكاد ينفجر وصرت أتعلم ولا أتقار ، وتوهمت أن لو كان لي عقلان ما استطعت كتابة المقالة عن إبليس لعنه الله . وأذكرني الخبيث فادرة مضحكة : أن رجلاً كان يركب حماراً ضعيفاً وكان ييمته فلا ييمث ، فجعل يضربه فقيل له : ارفق به . فقال إذا لم يقدر عشي قلم صار حماراً....؟

وقذفت بنفسى من الفراش ونظرت في الساعة فإذا هي موشكة أن تبلغ الثانية ولم أحس الرقاد بمد ، فأسرعت إلى المنبهة وحررتها على تمام الساعة الرابعة صباحاً ؛ وأيقنت أن الشيطان يرهنني طينياً وكيداً فطفقت ألمنه وما أحسبه إلا قد رأى اللعن مدحاً فهو يستزيدني ...

ثم رجعت أحاول النوم فما كان هذا الليل إلا شيئاً واحداً أوله آخره إلى أن طلع الفجر

وجاء يوم الأحد وهو يوم عطلة الأوربيين فما أشد عجبى إذ تركني فيه إبليس كأنهم لا يدهون له وقتاً في هذا اليوم والآن يزعم لي الخبيث أن أختم هذه المقالة بـ ... بـ ولكن لا . لا ما

عز الدين قاسم

(منظما)

ألمانيا ويصدم عزمها كدولة عظمى لها ماضٍ عسكري مجيد بين دول القارة العظمى ، ولكن ألمانيا استطاعت بعد كفاح طويل شاق أن تحطم نصوص معاهدة فرساي وأن تتحرر منها تباراً ؛ وكان آخر ظفر لها في هذا الميدان في شهر مارس من العام الماضي حيناً أعلنت على لسان زعيمها هير هتلر بطلان النصوص العسكرية في معاهدة فرساي وتقرير حربها المعلقة في أنخاذ أي إجراءات تراها للدفاع عن نفسها ، وتقرير الخدمة العسكرية الاجبارية ؛ وذلك رداً على ما قرره فرنسا يومئذ من إطالة الخدمة العسكرية ؛ ولم يكن باقياً من القيود العسكرية التي فرضت على ألمانيا سوى تجريد منطقة الرين وتحريرها كما تقدم ، وكان هذا النظام التي رتبته معاهدة الصلح قد تأيد بمهد جديد عقد بين ألمانيا وأعدائها السابقين لتأمين السلام على ضفاف الرين ، ونعني به ميثاق لوكارنو ؛ ولكن ألمانيا رأيت أخيراً في عقد الميثاق الفرنسي الروسي الجديد ما يحملها على اعتبار ميثاق لوكارنو باطلاً منقوشاً ؛ ومن ثم فقد أعلنت على لسان زعيمها في السابع من الشهر الجاري بطلان ميثاق لوكارنو ، وبطلان نصوص معاهدة الصلح الخاصة بتحرير منطقة الرين ، التي تحتلها الآن قوات عظيمة من الريفيسفر (الجيش الألماني) وبذلك أتمت ألمانيا تحطيم آخر الأغلال العسكرية التي فرضت عليها في فرساي

ميثاق لوكارنو

وهكذا نرى أهمية الصلة المباشرة بين تجريد منطقة الرين وبين ميثاق لوكارنو ؛ فميثاق لوكارنو يؤيد النظام الذي قرره معاهدة الصلح لمنطقة الرين . وقد عقد ميثاق لوكارنو في سنة ١٩٢٥ ؛ وكانت ألمانيا في الواقع أول من سعى إلى عقده . ذلك أن السياسة الألمانية كانت تقوم في ذلك الحين على فكرة التوفيق والتفاهم والتعاون ؛ وكان هميدها يومئذ الدكتور شترزمان يرى أن ألمانيا تكسب بالتفاهم مع فرنسا أكثر مما تكسب بالخصومة والمقاومة ، وهرضت ألمانيا يومئذ أن تعقد موافق بتأمين السلامة المتبادلة وعدم الاعتداء والتحكيم ؛ وعقد مؤتمر لوكارنو على أثر ذلك وشهد ممثلو الدول ذات الشأن وفي مقدمتها ألمانيا وفرنسا وبريطانيا العظمى ، وأسفر المؤتمر عن عقد ميثاق بالضمان المتبادل بين ألمانيا وفرنسا وبلجيكا وبريطانيا العظمى وإيطاليا ، وعن اتفاقات بالتحكيم بين ألمانيا وبلجيكا وألمانيا

بغير ، وحقيقة البواعث التي حملت ألمانيا على انتهاجه ، ومدى نيره في السياسة الأوروبية ، أن نستعرض أولاً نصوص معاهدة صلح (معاهدة فرساي) الخاصة بمنطقة الرين ، ثم نصوص ميثاق لوكارنو الخاص بتأمين السلام على ضفاف الرين ، وأنت تتبع تطورات السياسة الأوروبية الأخيرة التي مهدت إلى هذا طور الخطير الحاسم

أهمية فرساي ومنطقة الرين

كان ضمن الشروط والأغلال الفادحة التي فرضتها معاهدة الصلح على ألمانيا أن تجرد مناطق الرين الألمانية من سلاحها سواء ما كان منها غرب هذا النهر ملامساً للحدود الفرنسية والبلجيكية أو ما كان منها شرق هذا النهر على بعد خمسين كيلومتراً داخل ألمانيا ذاتها . وقد أجمع تجريد منطقة الرين الألمانية من السلاح في المواد ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ من معاهدة فرساي ، وهذا نصها :

يحظر على ألمانيا أن تستبق أو تنشئ تحصينات سواء في الضفة اليسرى من الرين ، أو في الضفة اليمنى غرباً على مدى خط طول خمسون ميلاً شرق النهر (٤٢)

يحظر أيضاً أن يستبق أو يحمّد في المنطقة السابقة قوات مسلحة سواء بصورة دائمة أو بصورة مؤقتة ، وكذلك يحظر لإجراء أية تمرينات عسكرية مهما كان نوعها ، أو الاحتفاظ بأية إجراءات مادية لتسهيل التهيئة (٤٣)

إذا خالفت ألمانيا بأى صورة ما نصوص المادتين ٤٢ و ٤٣ ، فإنها تعتبر أنها قد ارتكبت عملاً عدائياً ضد الدول الموقعة على هذه المعاهدة ، وأنها تحاول تمكين السلام المالي (٤٤)

فهذه المواد الثلاث تحمل من ولايات الرين الألمانية منطقة محرمة من الوجهة العسكرية على ألمانيا ؛ والفرض من وضعها تحت هذا النظام واضح ، وهو أن تبقى أبواب ألمانيا الغربية مفتوحة أمام الجيوش الفرنسية والبلجيكية الرابطة على الحدود بحيث تستطيع في حالة وقوع حرب أو أعمال عدائية أن تقتحم الأراضي الألمانية في الحال قبل أن تستطيع الجيوش الألمانية تحطيم المنطقة الحرام ومواجهة الغزاة

وكان هذا الشرط الفادح إلى جانب تجريد ألمانيا من السلاح وإزالة جيشها إلى مائة ألف ، وتقييدها بأشد القيود فيما يتعلق بالنشآت البحرية والجوية وصنع الذخائر ، أشد ما يحجز في نفس

منهما على تسوية أى خلاف يقع بينهما مهما كان نوعه بالوسائل السلمية وطبقاً للاجراءات اللبينة بمد ، إذا لم يمكن تسوية بالوسائل الدبلوماسية المتتادة وأن كل خلاف يقع بين الفريقين خاصاً بمحقوقهما المتبادلة يمرض للتحكيم القضائي ويتعهد الفريقان بالخضوع لقراراته . وتعرض المسائل الأخرى على لجنة المصالحة فإذا لم يقبل الطرفان حكمها أحيلت المسألة على مجلس عصبة الأمم ويتبع المجلس في شأنها نص المادة ١٥ من ميثاق العصبة

وتنص المادة الرابعة على أنه إذا ادعى أحد المتنازعين بأنه قد انتهك لنص المادة الثانية من هذه المعاهدة أو نص المادتين ٢ و٤٣ من معاهدة فرساي ، فإنه يمرض الأمر على مجلس العصبة وأنه إذا اقتنع المجلس بوقوع هذا الانتهاك فإنه يدعو الدول الموقعة على هذه المعاهدة حالاً ، وهي تتفق فيما بينها بالإجماع على معاونة الدولة التي وقعت ضدها المخالفة ؛ وأنه إذا وقع انتهاك للمادة الثانية من هذه المعاهدة أو المادتين ٤٢ و٤٣ من معاهدة الصلح ، فإن باقى الدول الموقعة تتعهد بمعاونة الدولة التي وقع ضدها الانتهاك حالاً ليثبت أن الاعتداء وقع دون مبرر ، سواء كان ذلك بعبور الحدود ، أو وقوع الأعمال العدائية أو حشد القوات المسلحة في المنطقة المجردة ؛ هذا ويصدر مجلس العصبة قراراته في الموضوع الذي يرفع إليه طبقاً للفقرة الأولى ، وتتعهد الدول الموقعة أن تتبع توصياته بشرط أن يوافق عليها بالإجماع من جميع الأعضاء ما عدا ممثلي الفريق الذي ارتكب الاعتداء وتنص المادة الخامسة والأخيرة على أن الدول الموقعة تضمن تنفيذ نصوص المادة الثالثة من هذه المعاهدة . . . الخ

هذه خلاصة وافية لميثاق لوكارنو ؛ ونلاحظ أن الميثاق يرمى قبل كل شيء إلى تأمين السلام بين فرنسا وألمانيا عن طريق تأمين سلامة الحدود الألمانية الفرنسية ، وأنه يؤيد معاهدة الصلح بقوة فيما أوردته خاصاً بتجريد منطقة الرين من وسائل الدفاع ، وأنه ينو بصفة خاصة بالأهمية التي تعلقها فرنسا على استبقاء هذه المنطقة بحالتها التي قررتها معاهدة الصلح ؛ ونلاحظ من جهة أخرى أهمية الميثاق فيما يتعلق بتسليم ألمانيا نهائياً بالأوضاع والحدود التي قررتها معاهدة الصلح على ضفاف الرين ، وفيما ينطوى عليه ذلك من نبذها نهائياً فكرة المطالبة بتعديل حدودها

وفرنسا ، وألمانيا وبولونيا ، وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا . وكانت فكرة ألمانيا ترمى إلى قصر الميثاق على منطقة الرين ، أعنى حدود ألمانيا الغربية ، ولكن فرنسا أصرت على أن يشمل الضمان الحدود الشرقية ، وأن يسمح لفرنسا بمعاونة بولونيا في حالة خرق معاهدة التحكيم الألمانية البولونية ؛ وأصرت انكلترا من جانبها على أن يقصر تعهداها بالضمان على منطقة الرين . وكان أهم نتائج مؤتمر لوكارنو بالطبع هو ميثاق السلامة الشهير الذي سمي بهذا الاسم ، والذي عقد في ١٦ أكتوبر سنة ١٩٢٥

وقد أدمج هذا الميثاق الشهير في الملحق (١) من معاهدات لوكارنو ، متضمناً لحس مواد ؛ ونص في ديباجته على أن الدول الموقعة عليه وهي ألمانيا ، وبلجيكا ، وفرنسا ، وبريطانيا العظمى ، وإيطاليا تقوم بمقد هذا الميثاق سعياً إلى تحقيق رغبة الشعوب التي طالت ويلات الحرب الكبرى في السلامة والحماية وتنص المادة الأولى من الميثاق على أن هذه الدول المتعاقدة تضمن ضماناً مشتركاً جامعاً بقاء الحدود والأوضاع الأرضية القائمة بين ألمانيا وبلجيكا ، وبين ألمانيا وفرنسا ، وعدم انتهاك هذه الحدود والأوضاع التي قررتها معاهدة الصلح المقودة في ٢٨ يونيو سنة ١٩١٩ ، وكذلك تضمن صراحة نص المادتين ٤٢ و٤٣ من المعاهدة المذكورة وما الخاصتان بالمنطقة المجردة

وتنص المادة الثانية على أن ألمانيا وبلجيكا ، وكذلك ألمانيا وفرنسا تتعهد كل منهما لزاماً الأخرى ألا تتعدى عليها بأى حال أو تفزوها أو تلجأ إلى محاربتها مع استثناء الأحوال الآتية : (١) استعمال حق الدفاع الشرعى أعنى مقاومة انتهاك العهود المشار إليها أو انتهاك نص المادتين ٤٢ و٤٣ من معاهدة الصلح إذا اتخذ هذا الانتهاك سفة جمل أو اعتداء لا مبرر له ، واقتضى حشد القوات المسلحة في المنطقة المجردة اتخاذ الإجراءات السريعة (٢) اتخاذ الإجراءات التي تنص عليها المادة ١٦ من عهد عصبة الأمم (وهي الخاصة بتوقيع العقوبات الجماعية على الدولة المعتدية) (٣) العمل تنفيذاً لقرار اتخذته الجمعية العمومية للعصبة أو مجلسها طبقاً لنص المادة ١٥ فقرة ٧ من ميثاق العصبة (وهي الخاصة بإجراءات التوفيق والتسوية عند وقوع الخلاف) وتنص المادة الثالثة على أنه بناء على التعهد المدون في المادة الثانية تتعهد ألمانيا وبلجيكا ، وألمانيا وفرنسا ، بأن تعمل كل